مختصر خطبة صلاة الجمعة 2025/6/13 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(وحدة الصف في زمن البناء)

قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)﴾ [آل عمران: 103-105].

في زمن بناء الدول وتمكينها تعتبر وحدة الصف من أَوْلى الأولويات، ومن أهم المهمات، وأرجح الراجحات لتتمكن الدولة والمجتمع من تحقيق الأهداف والوصول للمبتغى.

لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وبدأ ببناء الدولة الإسلامية كان أولَ ما دعا إليه ثلاثةٌ: بناءُ المسجد والمؤاخاةُ وكتابةُ دستور المدينة، وثلاثتها لتعزيز وحدة الصف وتقويتها.

فالمسجد: هو الجامع الذي يجمع أبناء المجتمع، ويقوي اللُّحمة بينهم، ويرمّم ما تصدّع من روابط بينهم، وهو مركز التعليم والتربية.

والمؤاخاة: أمرٌ يفوق وحدة الصفّ بمرات ومرات، عندما تعاون أفراد المجتمع وتشاطروا القليل والكثير وتعاونوا على البر والتقوى.

ودستور المدينة: ذلك العقد الذي جمع بين المسلمين وسكان المدينة من اليهود بجامع المواطنة.

فثلاثتها –المسجد والمؤاخاة ودستور المدينة– تصب في مصلحة وحدة الصف، وذلك لما يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أثر الوحدة في تحقيق الأهداف المرجوّة والوصول للمراد.

ومرت على المدينة المنورة لحظاتُ اضطرابٍ أراد فيها الأعداء أو المنافقون أو البسطاء الصلحاء أن يزعزعوا هذه الوحدة، فسارع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إطفاء نار الفرقة وإخماد جمرها.

أخرج البخاري ومسلم عن سهل بن سعد: **«أن أهل قُباءَ اقتتلوا حتى تَرَامَوا بالحجارة، فأُخْبِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: اذهبوا بنا حتى نُصلِحَ بينهم»** ويبدو ذلك في السنوات الأولى للهجرة.

وأخرج البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه: **«اقْتَتَلَ غُلامانِ: غُلامٌ من المهاجرين، وغلام من الأنصار، فَنادَى المهاجِرِيُّ: يالَلْمُهاجرين، ونادى الأنصاري: يالَلأنصارِ، فَخَرَجَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: مَا بَال دَعْوَى الجاهلية؟ ثم قال: مَا شَأْنُهُمْ؟ فأُخبر بكَسْعَةِ المهاجِرِيِّ الأنْصارِي، قال: فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: دَعُوها، فإنها خبيثةٌ»**. وكان ذلك في السنة السادسة للهجرة.

أيها الإخوة: سورية اليوم في طور البناء والتمكين بحاجة في أهم احتياجاتها وأضر ضروراتها إلى وحدة الصف بين أبنائها، ولو اختلفت آراؤهم أو تباينت انتماءاتهم؛ فالاختلاف سنة إلهية لا نستطيع إلغاءَها ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 118-119]، فليس المراد أن تتماثل أفكارنا وآراؤنا أو تتحد أطيافنا وانتماءاتنا، ولكنِ المراد أن تتحد صفوفنا وقلوبنا لنبني البلد مجتمعين، ونقف في وجه المخاطر متعاونين.

ومعلوم لديكم أن وحدة الصف تقتضي الالتفاف حول قيادة البلد والالتزام بالقانون والمؤسسات.

وكلٌّ منا في موقعه مدعوٌّ إلى تعزيز هذه الوحدة ونبذ الفرقة، وتقوية رص الصفوف، والابتعاد عن تمزيقها.

فوحدة الصف هي الركيزة الأساسية لبناء دولة قوية، قادرة على تحقيق التنمية والاستقرار، وتعزيز مكانتها على المستوى الدولي.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 105].

والحمد لله رب العالمين